الزراعة في حياة المسلمين

بقلم:
د. نظمي خليل أبوالعطا

الزراعة من دعائم الحضارة والتقدم فيها. تنتج الشعوب المواد الغذائية والمنتجات الزراعية النافعة والبهيجة والنعيم في الحياة، والنبات يحدث توازنًا في البيئة الأرضية وتتوقف حياة الإنسان والحيوان والنبات والكائنات الحية الدقيقة على المنتجات النباتية قال تعالى: (فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ إِلى طَعَامِه، أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا، فَأَنبَتْنَا فيهَا حَبًّا، وَعِنَبًا وَقَضْبًا، وَزَيْتُونًا وَنَخْلا، وَحَدَائِقَ غُلْبًا، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا، مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ) (عبس ٢٤-٣٢). فالطعام يأتي من النبات والحيوان، والنبات يحتاج إلى الماء في الإنبات والنمو والإنتاج، ويحتاج إلى الأرض للزراعة القابلة للزراعة المفتتة ليسهل للجذير والجذر التعمق فيها، وإذا توفر الماء والتربة الزراعية نبت النبات وأنتج الحب والعنب وعلف الدواب الرطب (القضب)، وحدائق غلبا (أي بساتين عظيمة متكاثفة الأشجار)، (وأبا) أي الكلأ والعشب وهو التبن خاصة (كلمات القرآن تفسير وبيان –حسنين محمد مخلوق) وكل ذلك متاعًا للإنسان والحيوان.

وقد بينت السنة النبوية فضل الزراعة فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة) (رواه البخاري ومسلم والترمذي).

والغرس يكون للشجر، والزرع للنباتات الحولية، ويتم الغرس بالشتلات الصغيرة والنباتات الكبيرة، والغصون، والسيقان والأوراق والجذور والفسائل والنباتات والأنسجة وبأساليب وطرائق علمية زراعة مختلفة ومعروفة وبالبذور، والزرع يكون بالبذور والحبوب والشتلات.

والطير كل ما يطير وله جناح يسبح في الهواء، كالطيور والحشرات والخفافيش، والبهيمة وهو ما عدا السباع والطير وهذه الكائنات تأكل الجذور والسيقان والأوراق والأزهار والثمار والبذور والحبوب وتمتص الرحيق وتأكل حبوب اللقاح والأزهار والأعلاف الخضراء والأجزاء الجافة من النبات كالتبن والدريس (البرسيم الجاف)، وسيقان الذرة وأوراقه. والصدقة ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربى كالزكاة، ولكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوع به والزكاة للواجب، وقد يسمى الواجب صدقة إذا صاحبه الصدق في فعله كما قال الأستاذ محمد عبدالعزيز الخولي رحمه الله في الأدب النبوي، دار الرائد العربي، بيروت: لبنان (د.ط) (ص ٤٤) (١٩٨٨م).

وقال: الحديث يرغبنا في تعمير الأرض بالأشجار والزرع الذي ينتفع به الإنسان أو الحيوان ويبين أن ما أكل من الشجر أو الزرع صدقات للإنسان (وصدقة جارية) يستحق الإثابة عليها، وخص المسلم بذلك لأنه الذي ينتفع بثواب الصدقة في الدنيا والآخرة، أما الكافر فيثاب على ما زرع أو غرس في الحياة الدنيا فقط، وقال بعضهم يجوز أن يخفف عنه بذلك من عذاب الآخرة خصوصًا إذا لم يرزق الغنى والعافية في الدنيا (المرجع السابق) وقد يستغرب بعض العَلمانين من ذلك ولكن القاعدة الإسلامية أن شرط قبول العمل عند الله أن يكون خالصًا (أي النية فيه لله تعالى)، وصوابًا (أي على منهج علمي وشرعي سليم)، حتى المسلم الذي يبغي بعمله الدنيا فقط فلا ثواب له عند الله، فالرجل الذي يجاهد حمية أو عصبية أو ليقال إنه مجاهد لا ثواب له عند الله، والذي يتعلم العلم ويعمله ليقال إنه عالم لا ثواب له عند الله، والذي يتصدق ليقال إنه متصدق لا ثواب له عند الله، والقاعدة العامة في ذلك قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) (رواه البخاري ومسلم وغيرهما وفي رواية زيادة: (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ثم أعقبها بالجملة الأخيرة).

وفي الحديث (الخاص بالزرع والغرس السابق) حث على السعي في مصالح الناس، وعلى الرحمة بالحيوان، وقد أخرجه البخاري أيضًا في باب (رحمة الناس والبهائم) (الأدب النبوي) (المرجع السابق).

وفي هذا الحديث حث للمسلمين على الاهتمام بالزراعة، وإصلاح الأرض لتكون صالحة للزراعة والإنتاج الزراعي، وفيه حث على الاهتمام بالبحث العلمي في مجال الزراعة واستنباط أصناف من النبات ذات إنتاجية عالية مع الاهتمام بالتصنيع الزراعي وإنتاج الثمار والبذور والحبوب والأعلاف، ومن المعلوم علميا أن الله سبحانه وتعالى جعل في النبات خصائص تجعله يستجيب للخدمة الزراعية المتميزة من حيث التربة والري والتسميد، ووضع الله تعالى في التركيب الوراثي للنبات وفي جزيء (DNA) لكل نبات خصائص تساعد الباحثين على الإنتاج الزراعي الوفير ذات النوعيات المتميزة وما يؤسف عليه أننا تخلفنا في الإنتاج الزراعي، والبحث العلمي في مجال الزراعة واعتمدنا في غذائنا على ما تنتجه الدول غير الإسلامية من إنتاج زراعي متميز كما وكيفا وهذا يجعلنا في موقف الضعف، فهذه الدول تستطيع فرض الحصار الزراعي على ديارنا والتحكم في قراراتنا المصيرية بسبب اعتمادنا عليهم في الغذاء والإنتاج الغذائي النباتي والحيواني.

ومن العوامل المهمة في حياة الأمم ما يبينه الله تعالى في قوله: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ) (قريش- ٣،٤). فالأمن الغذائي من ضروريات سيادة الأمم وبقائها، والأمن يشمل الأمن الغذائي، والأمن الصحي، والأمن الداخلي، والأمن الخارجي.

الدول العربية والدول الإسلامية تمتلك دعائم الإنتاج الزراعي المتميز من حيث المناخ، والماء، والأرض الزراعية والقوى البشرية والخبرة والخبراء ومراكز البحوث والمال ومع كل ذلك فإننا غير قادرين على الاكتفاء الغذائي وخاصة في مجال الحبوب والبذور الأساسية كالقمح والشعير والذرة والأرز والأعلاف، لذلك حث المصطفى صلى الله عليه وسلم المسلمين على الزرع والغرس في الحديث وبيَّن ثواب ذلك للمسلمين في الدنيا والآخرة.

تجارة مع اللّه

(تحاتّ الخطايا كما تحاتّ ورق الشجر!)

بقلم: رجاء يوسف لوري

يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة!

سُئل رسولِ الله تعالى، عليه الصلاةو السلام:

(يا رسول الله! أيُّ النّاس أشدُّ بلاءً؟

قال: (الأنبياءُ، ثم الصالحون، ثُمَّ الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلى الرجلُ على حسبِ دِينِه، فإن كان في دِينِه صلابةٌ، زِيدَ في بلائِه، وإن كان في دِينِه رِقَّةٌ، خُفِّفَ عنه.

ولا يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ، حتى يمشيَ على الأرضِ وليسَ عليه خطيئةٌ!) .

الراوي: سعد بن أبي وقاص. المحدث: الألبانَي. المصدر: الإيمان لابن تيمية ٧٨ خلاصة حكم المحدث: صحيح.

صلابة: شدّة وقوة.

المؤمن يفرح بالبلاء!

ويقول عليه الصلاة والسلام:(إنَّا كذلِكَ، يَشتدُّ علينَا البَلاءُ ويُضاعفُ لنَا الأجرُ)

فقالَ: يا رسولَ الله! أيُّ النَّاس أشدُّ بلاءً؟

قالَ: الأنبياءُ ثمَّ الصَّالحونِ، وقد كانَ أحدُهم يُبتلَى بالفقرِ، حتَّى ما يجدُ إلَّا العَباءةَ يجُوبُها فيلْبَسُها، ويُبتلَى بالقُمَّلِ حتَّى يقتلَه، ولأحدُهُم كانَ أشدَّ فرَحًا بالبَلاءِ، من أحدكم بالعَطاءِ!) أو كما قال.

الراوي: أبو سعيد الخدري. المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الأدب المفرد ٣٩٥ خلاصة حكم المحدث: صحيح.

يجوبها: يقطعها.

حتى يبلغهُ المنزلة التي سبقتْ لهُ من اللهِ تعالى!

ويقول عليه الصلاة والسلام:

(إنَّ العبد إذا سبقتْ له من الله منزلةٌ لم يبلغهَا بعمله، ابتلاهُ اللهُ في جسدهِ أو في ماله أو في ولده، ثمَّ صبَّرهُ على ذلكَ حتى يبلغهُ المَنزلةَ التي سبقتْ لهُ منَ الله تعالى) أو كما قالَ الراوي: اللجلاج بن حكيم السلمي والد خالد. المُحدّث: الألباني. المصدر: صحيح أبي داود ٣٠٩٠ خلاصة حكم المحدث: صحيح.

سبقت: نفذت وتقدمت.

يقول تعالى:

(... وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٩٦) سورة النحل.

ويقول تعالى:

(...فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ(٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ... ٣٥) سُورة الحجّ.

وجلت: خافت من الله هيبة وإجلالا.

في تفسير السعدي:

○وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ□ بخير الدنيا والآخرة، والمُخبت: الخاضع لربه، المُستسلم لأمره، المُتواضع لعباده، ثم ذكر صفات المُخبتين فقال: (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ□) أيّ: خوفا وتعظيما، فتركوا لذلك المُحرمات، لخوفهم ووجلهم من الله وحده، (وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ) من البأساء والضرّاء، وأنواع الأذى، فلا يجري منهم التسخّط لشيء من ذلك، بل صبروا ابتغاء وجه ربهم، مُحتسبين ثوابه، مُرتقبين أجره.

ويقول تعالى:(وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)) سورة البقرة.

(وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ) أيّ: الفقر. لأن الفقير يحتاج إلى الصبر من وجوه كثيرة، لكونه يحصل له من الآلام القلبية والبدنية المستمرة ما لا يحصل لغيره.

فإن تنعم الأغنياء بما لا يقدر عليه تألم، وإن جاع أو جاعت عياله تألم، وإن أكل طعاما غير موافق لهواه تألم، وإن عرى أو كاد تألم، وإن نظر إلى ما بين يديه وما يتوهمه من المستقبل الذي يستعد له تألم، وإن أصابه البرد الذي لا يقدر على دفعه تألم.

فكل هذه ونحوها مصائب يؤمر بالصبر عليها والاحتساب، ورجاء الثواب من الله عليها.

(وَالضَّرَّاءِ) أيّ: المرض على اختلاف أنواعه:

من حمّى، وقروح، ورياح، ووجع عضو حتى الضرس والإصبع ونحو ذلك فإنه يحتاج إلى الصبر على ذلك؛ لأن النفس تضعف، والبدن يألم، وذلك في غاية المشقة على النفوس خصوصًا مع تطاول ذلك، فإنه يؤمر بالصبر احتسابا لثواب الله تعالى.

(وَحِينَ الْبَأْسِ) أيّ: وقت القتال.

ويقول تعالى:

(وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ(٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ(٢٤)) سورة الرعد.

فاللهُمَّ اجعلنا من الذين صبروا ابتغاء وجه ربّهم .

– جاء من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أتيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في مرضه فمسستُه، وهو يوعك وعكًا شديدًا.

فقلت:يا رسول الله إنك لتوعك وعكًا شديدًا، قال: أجل، إني أُوعَك كما يوعك رجلان منكم فقلت: ذلك أنَّ لك أجرَين؟

قال: (أجل، وما من مسلم يصيبه أذى، إلا حاتتْ عنهُ خطاياه، كما تحاتَّ ورقُ الشجرِ) أو كما قال.

الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٥٦٦١ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

الوعك: الحُمّى.

إنِّي أُوعَكُ كما يُوعَكُ رَجُلانِ منكم، أيّ: أُحَمُّ كما يُحَمُّ رجلان منكم.

كما تحاتَّ ورقُ الشجر: كما تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَها.

أيّ: ما من مُسلم يُصيبُه أذى، مَرَضٌ فما سواه، إلّا كفَّر اللهُ بها سيِّئاته كما تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَها، أيّ: تُلْقيه. شبَّه محوَ السَّيِّئات عنه سريعًا بحالة الشَّجَرة، وهُبوب الرِّياح الخريفيَّة، وتناثر الأوراق منها سريعًا، وتجرُّدها عنها.

ففي الحديث فضلُ الصَّبرِ على الأمراضِ والأعراضِ، وأنَّها تكفر السيِّئاتِ، وتَحُطُّ الذُّنوبَ. الدرر السنية.

بين كتابين.. قوانين سرمدية (٨)

قانون التمرحل

بقلم: عاطف الصبيحي

قانون حرق المراحل لا يُجدي نفعًا في عملية بناء الإنسان الذي يقع على عاتقه التطور الثقافي والحضاري، وأوكلت إليه مهمة خلافة الأرض بقرار رباني، فيُستعاض عنه بقانون التدرج أو التمرحل، حتى يكتمل البناء على الوجه الصحيح ويتم الاعتماد على ذلك الأساس المتين، لإكمال المسيرة نحو الأمام، بثقة وطمأنينة، ويكون البناء مستقرًا في أصوله، متينًا في قواعده، ولا يكون كجدار أهل القرية يريد أن ينقض، لا يصمد أمام التغيرات والهبات التي تتعرض لها الأمم.

المرحلة المكية التي أنفق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من السنين ثلاث عشرة، مؤدبًا ومعلمًا وبانيا للإنسان، متدرجًا بفكفكة العقائد الراسخة في الأذهان، المُتجذرة في النفوس، ومن دون تشريعات، لأن التشريعات تأتي خطوة تالية على الاقتناع المُفضي إلى التغير، تغير النمطية الفكرية التي تؤدي إلى الاعتقاد المُطمئن للأفكار الجديدة، فإذا ما تم التفكيك وإزالة الرواسب إلى حيث لا رجعة، ونجحت عملية الإحلال المنشودة، يأتي دور التركيب والبناء في منطقة بكر نظيفة، قُدر لها من قبل الحق سبحانه أن تكون علامة فارقة في التاريخ الإنساني، وأن صيرورتها وتطورها باقيان ما بقيت السيرورة الزمنية، وما دامت هناك شمس تُشرق، لذلك رُحلت التشريعات لما بعد المرحلة المكية مرحلة الصراع الفكري كما لا يخفى على أحد.

المرحلة المكية البنائية دخلت مخاضًا عسيرًا، فكانت ثورة عقلانية بأتم معاني الثورة الفكرية، دار الأرقم بحمولتها الفكرية الثقافية الروحية الجديدة مقابل دار الندوة بقبليتها الراسخة وهُبلها ولاتها ومَناتها الثالثة الكبرى، عتت وتعنتت وعاندت وقاومت بضراوة، فأثمرت هذه الفترة المكية نماذج إنسانية غدت وشما في جبين التاريخ، وعلامة فارقة في صفحات المسيرة الإنسانية، ومشاعل نورانية في مختلف جوانب الحياة، والتي مازالت تسكن الذاكرة الجمعية للمسلمين وغير المسلمين، حيث إن الطريقة القرآنية التي نفذها الرسول الكريم في هذه المدة أتت أُكلها على خير وجه، فأنجبت ثلة مباركة.

ثلة شرّفت التاريخ من اليوم الأول، عندما لاذ الرسول الكريم بامرأة مرتعدًا فقالت: لن يخزيك الله ولن يخذلك، ثلة ترأسها صدّيق وثاني اثنين في الغار ورفيق الهجرة، ثلة فيها حبشي بين صفوفها بلال أيقونة الصمود والثبات بشعاره «أحد أحد» وامرأة طُعنت وما لانت، وزوجها على أثرها أبى إلا أن يغيظ جلاديه، وابن بأم عينه راقب مشهد والديه الصناديد، فشابه بعض الضعف واستجاب لفظًا لا قناعةً، وضاقت عليه الأرض بما رحُبت حتى طمأنه قائده «وإن عادوا فعد» وثلة لمع من بينهم فدائي على حداثة سنه بنومه مكان رسوله الكريم معرضًا حياته للهلاك، ليُسهل هجرة القائد، وثلة ضمت رجل وأي رجل بينما هو عائد من الصيد فيتناهى إلى سمعه أن أبا جهل شتم عمه فيبادره بصفعة مُزلزلة وعلى الملأ ويعلن إسلامه من لحظته حميةً وعصبيةً، وينتهي به الأمر بسيد الشهداء ويُبقر بطنه وتُلاك كبده، ومن عمق الرجاء والدعاء يستجيب رب العزة ويرفد الثورة الجديدة بثائر فريد عنيد تتسرب منه المروءة يأبى كتم إسلامه ويأنف الهجرة سرًا، فيهاجر في وضح النهار ويُعلن أن خلف هذا الجبل ستكون مقبرة لمن يجرؤ على اللحاق به، فسكت كل من سمع وكأن على رؤوسهم الطير، وقامت على أكتافه لاحقًا عبء تأسيس الدولة، والأمثلة أكثر من نُحصيها في هذا المقام.

مرحلة المدينة المنورة ونواة الدولة الوليدة كانت نتيجة للمرحلة المكية التي أنتجت النماذج المُشار إليها آنفًا، وفي المدينة بدأت عجلة التشريع تدور بما يناسب المرحلة الجديدة، وفي المدينة أصبحت آيات التشريع والأخلاق تمشي في حواريها، لأنها تجسدت فيهم سلوكا، وصح ما قيل فيهم إنهم أصبحوا مصاحف تمشي على الأرض، يسمعون بعض الآيات ولا يغادرونها لغيرها إلى أن يفهموها ويتمثلوها في حياتهم سلوكًا أثناء معاملاتهم اليومية، وفي صلاتهم وصلاتهم، في خلواتهم واجتماعهم، فكانت المدينة المنورة المُتحولة عن يثرب نهاية عصر القرى الظالمة التي كثيرًا ما أشار إليها الكتاب بالذم والوعيد، مدينة أشبه ما تكون بالأم ذات الصدر الحنون، مدينة رحبة اتسعت للجميع، لأنها مدينة بُنيت وأُسست على قواعد جامعة غير تلك القواعد المُفرقة، مدينة اكتسبت نورها من صون الحريات فيها لمن آمن منهم ولمن كفر.

الوقوف على هذا القانون والنظر إليه بعين لا يغطيها القذى يستوجب بالضرورة التوقف للاعتبار والاستفادة منه في بناء أو إعادة بناء ما هدمته الصراعات والخلافات عبر التاريخ، قانون التمرحل هو فاتحة النجاح في أي عملية تنمية بأي مجال من مجالات التنمية الاقتصادية والسياسية والعلمية، وهذا من فوائد القصص القرآني والقصص المحمدي، فهي ليست سرديات للتسلية، ولا هي بالروايات التاريخية لتزجية الوقت والتسلية لنا، هي قصص فيها قوانين كثيرة وقانون التمرحل أحد هذه القوانين، وإحياؤه وفقهه هو مسؤولية الإنسان المتفكر المتدبر، لأن العقل كما يقولون دوره يكمن في الكشف عن الخطة الإلهية في الكون لتحقيق سعادة الناس في الدارين، من خلال النهضة وليس هناك نهضة ولا تنمية إلا من خلال لفتة اعتبارية للوراء ونظرة بنائية للأمام.

تُرى.. ماذا تقول عنا الملائكة؟

بقلم: عبدالرحمن هاشم

الجنة هي مكافأة الله لعباده، وإن شئت قلت: هدية الله لعباده، والفرق بين الهدية والعطية أن العطية تعطى لمحتاج والهدية تعطى لمحبوب.

ولقد أشفق الملائكة الكرام من جعل الإنسان خليفة في الأرض، متوقعين منه الانحراف والتخلي عن الأمانة، ولذلك خاطبوا الله تعالى في سورة البقرة: « إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) ».

لكن الله الذي يعلم ما لا يعلمون خلق آدم وأودع فيه سره ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وكلما انحرف أبناؤه وطال عليهم الأمد أرسل إليهم أنبياءه ورسله، وبين الحين والحين يسأل ملائكته عن أحوال بني آدم قائلاً: كيف وجدتم عبادي؟

روى البخاري ومسلم في روى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلمُّوا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم، وهو أعلم منهم، ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك، قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا، قال: يقول: فما يسألونني؟ قال: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم».

ودرجات معرفة الله لا تنتهي، والمتقون العارفون المعصية في نظرهم أشد من النار، وهم يحبون الجنة لأنها هدية عظمى من الله، ويتعوذون من النار لأنها تمثل غضب الله الملك الجبار، وشعارهم في ذلك شعار العارف القائل:

كلهم يعبدونك من خوف نار ويرون النجاة حظًا جزيلا
أو لأن يسكنوا الجنان فيحظوا بقصور ويشربوا سلسبيلا
ليس لي في الجنان والنار حظٌ أنا لا أبتغي سواك بديلا

وكما أن درجات المعرفة لا تنتهي، فكذلك الدرجات عند الله لا تنتهي، بدليل الوسيلة التي هي أعلى درجة في الجنة ولا تنبغي إلا لعبد واحد من عباد الله.. قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة». رواه مسلم.

ونحن لا نرى الله سبحانه وتعالى من واقع ضعفنا وذلنا وعجزنا وفقرنا، لكننا نشهده سبحانه فاعلا في كل شيء، وقادرا على كل شيء.

يا من يراني ولا أراه ×× انظر بعين الرضا لحالي
وارحم بعفوك ضعفي وذلي×× وكن لي عونًا عند السؤال
فإني عبد حملي ثقيل×× ولي ذنوبٌ مثلُ الرمال
وأنت ربي عفوك جزيلُ×× تعفو وتستر قبح الفعال
فاغفر ذنوبي واستر عيوبي×× واكشف كروبي وارأف بحالي

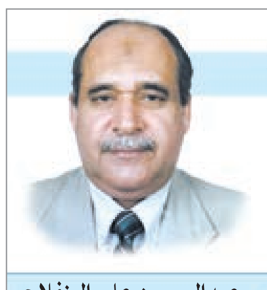

خاطرة

الإنسان المطمئن!!

عبدالرحمن علي البنفلاح

aalbinfalah@gmail.com

اجتازت فئة من المسلمين جميع الابتلاءات والاختبارات التي أجراها الله تعالى عليها، واستطاعت بالصبر والمصابرة تخطي جميع الفتن التي عجمت عودها، وصهرت نفوسها، ونالت العديد من الأوسمة من الله تعالى، ومن رسوله(صلى الله عليه وسلم)، ومن المؤمنين، ألم يقل الحق سبحانه وتعالى في معرض تشجيعه للعاملين في سبيل الله تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)) التوبة/١٠٥.

هؤلاء هم العاملون في سبيل الله تعالى الذين استحضروا النية وتشبثوا بها ولم تفارقهم، ولم يفارقوها لأنهم يعلمون أن عملهم ما دام خالصًا لله تعالى، فإنه محل رعاية الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين، وما أعظمه من عمل، وما أجزله من ثواب حين يكون العمل لله تعالى، سوف يحظى بتكريم الله تعالى، وعظيم ثوابه.

إنه إخلاص لا يستطيعه إلا من كان ولاؤه خالصًا لله تعالى، ويكون يقينه راسخًا لا يتزعزع ولا يضعف، ومثل هذا الإنجاز لا يقدر عليه إلا من اطمأنت نفسه بعد أن ابتلاها مولاها سبحانه، فرضيت واحتسبت الأجر عنده سبحانه، فلما رضيت بالبلاء، أرضاها سبحانه بالجزاء، فبلغت مرتبة الاطمئنان، التي تتحقق باكتمال شطري معادلة الرضا، وهما: الرضا بالبلاء، والرضا بالجزاء، ومعلوم أن مرتبة الاطمئنان تفوق مرتبة الإيمان، وهذا ما كان يبحث عنه أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حين سأل ربه سبحانه أن يريه كيف يحيي الموتى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (البقرة-٢٦٠).

إذن، فنبي الله إبراهيم لا يبحث عن الإيمان، فالإيمان متحقق فيه، ولكنه يبحث عن مرتبة هي أعلى من الإيمان، وهي الاطمئنان.

وللتأكيد على هذه القضية التي حسمها القرآن الكريم، وهي أن الاطمئنان مرتبة فوق مرتبة الإيمان، نقص عليكم نبأ القرية التي كانت آمنة مطمئنة، وكان سبب اطمئنانها أن الرزق يأتيها رغدًا من كل مكان، قال تعالى: (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) (النحل-١١٢).

القرية تؤمن بأن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين، وتؤمن بأن رزقها يطلبها ويعرف عنوانها، وهي لا تعرف عنوانه، ولكنها تحتاج إلى أن تطمئن إلى ذلك، فكان سبب الاطمئنان هو أن رزقها يأتيها رغدًا من كل مكان، وكل هذا يؤيده قوله سبحانه: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (الرعد-٢٨).

إذن، فحديثنا اليوم عن الإنسان المطمئن لم يأت من فراغ، بل هو قائم على ركن ركين، وأساس مكين من الشواهد القرآنية، وأن تجليات أسماء الله الحسنى، وصفاته العلا في حياة المسلم رغم المصاعب التي يواجهها تجعله في حالة من الاطمئنان بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الإنسان أيامه معدودة وإن طالت، وأحواله محدودة وإن كثرت، وعليه أن يستغل هذه الأحوال والأيام في عمل صالح متقبل، وألا يتخلف عن المشاركة في السباق الذي ينظمه الحق سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين حتى يفوزوا بالجوائز المجزية التي رصدها الحق سبحانه للفائزين، ولقد جاء الإعلان عن هذه المسابقة في قوله تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)) آل عمران، والتنافس في هذه المسابقة على غير العادة التي اعتاد الناس عليها ليست بين جماعة من المتسابقين، بل بين الإنسان وسنوات عمره التي يقضيها هذا الإنسان في هذه الحياة، وليعلم المسلمون أن جوائز هذه المسابقة ليست محدودة لأن عطاء الله تعالى ليس له حد، فالكل سوف يحصل على الجائزة بحسب جهده وجهاده، وفي ختام أيام المسابقة سوف يتسلم الفائزون جوائزهم من مولاهم سبحانه وتعالى، ويقول الحق للفائزين: ○يا أيتها النفس المطمئنة (٢٧) ارجعي إلى ربك راضية مرضية(٢٨) فادخلي في عبادي(٢٩) وادخلي جنتي(٣٠)) الفجر.

السعادة في منظور القرآن الكريم والسنة المطهرة (٣)

بقلم: عبدالسلام محمد وحيد عمري

قال الشنقيطي في أضواء البيان: قال تعالى: (فَمَن يُرِدِ الله أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسلام) (الأنعام-١٢٥).

جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن هذه الآية الكريمة، فقيل: كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «نور يقذف فيه، فينشرح له، وينفسح» قالوا: فهل لذلك من أمارة يعرف بها؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت» رواه الترمذي، ويدل لهذا قوله تعالى: (أَفَمَن شَرَحَ الله صَدْرَهُ للإسلام فَهُوَ علي نُورٍ مِّن رَّبِّه) (الزمر: ٢٢) وجاء في تفسير ابن كثير «يقول تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسلام) أي: ييسره له وينشطه ويسهله لذلك، فهذه علامة على الخير، كقوله تعالى: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ للإسلام فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّه فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّه أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (الزمر: ٢٢)، وقال تعالى: (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) (الحجرات: ٧). قال ابن عباس: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسلام) يقول: يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به. وعن أبي جعفر قال: سُئل النبي صلى الله عليه وسلم: أيّ المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم ذكرًا للموت، وأكثرهم لما بعده استعدادًا». وقد ورد الحديث أيضا عن السعادة في تفسير ابن كثير من خلال قول الله تعالى: (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِه أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) (الرعد- ١٨) «يخبر تعالى عن مآل السعداء والأشقياء فقال: (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ) أي: أطاعوا الله ورسوله، وانقادوا لأوامره، وصدقوا أخباره الماضية والآتية، فلهم (الحسنى) وهو الجزاء الحسن، كما قال تعالى مخبرًا عن ذي القرنين إنه قال: (قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّه فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) (الكهف- ٨٧، ٨٨) وقال تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) (يونس: ٢٦). ويقول الله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (الأعراف- ١٩٩)، ففي هذه الآية منهج قرآني لتحقيق الراحة النفسية والسعادة، فالعفو عن الناس يزيد مشاعر الحب والألفة والأمر بالمعروف يجعلك تشعر بأهميتك في الحياة، وأن لك دورا فيها فترضى عن نفسك، والإعراض عن الجاهلين من أهم الأسباب المسببة للسعادة. والآن نعيش مع مصادر أخرى للسعادة وهي ذكر الله التي ينتج عنه الطمأنينة، ومع الطمأنينة يتحقق كمال الإيمان الذي يثمر جنات بل أعلى الدرجات قال الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّه أَلَا بِذِكْرِ اللَّه تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩)) (الرعد-٢٨,٢٩) جاء في الدر المنثور» وفي قوله (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) قال: هشت إليه واستأنست به.عن السدي (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) يقول: إذا حلف لهم بالله صدقوا (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) قال: تسكن القلوب. وعن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه، حين نزلت هذه الآية (ألا بذكر الله تطمئن القلوب): «هل تدرون ما معنى ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: من أحب الله ورسوله، وأحب أصحابي». وأخرج ابن مردويه عن علي – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما نزلت هذه الآية (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) قال: «ذاك من أحب الله ورسوله، وأحب أهل بيتي صادقا غير كاذب، وأحب المؤمنين شاهدًا وغائبًا، ألا بذكر الله يتحابون». عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله (طوبى لهم) قال: فرح وقرة عين. وعن الضحاك في قوله (طوبى لهم) قال: غبطة لهم. وعن مجاهد – رضي الله عنه – في قوله (طوبى لهم) قال: الجنة».